أثر المكان في شعر "רחל לובשטיין"راحيل بلوبشطاين

إنعام لبابيدي*، د.سحر عقاد**
*طالبة دراسات عليا(دكتوراه)، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة حلب.
** أستاذة مساعدة في قسم اللُّغة العربيّة وآدابها، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة حلب.

The effect of place on Rachel Blobstein's poetry

Inaam Lababidi1, Dr. Sahar Akkad2**

Graduate student (PhD), Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Aleppo.[1]

Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Aleppo.[2]

ملخّص البحث

يهدف البحث إلى استجلاء صورة المكان ودلالته في الشعر العبري وكشف جوانبه الفنيّة وذلك بدراسة شعر راحيل، لأنَّه يمثل التجربة الصادقة عن المكان، التي يمكن أن نلتمسها في انتقال الشاعرة من موطنها الأصلي إلى فلسطين، فقد استطاعت بتجربتها مع المكان أن تُسلّط الضوء على مختلف مواقفها الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة. وقد اعتمد البحث في ذلك على المنهج الوصفي والتحليل الأسلوبي.

وقد خلُص البحث إلى إبراز أهم النتائج المرتبطة بأثر المكان في شعر راحيل.

الكلمات المفتاحية: (المكان، الشعر العبري، راحيل بلوبشطاين).

Abstract:

The study aimed to clarify the image of the place and its significance in Hebrew poetry and to reveal its artistic aspects through studying Rachel's poetry, because it represents the honest experience of the place, which we can touch through the poet's move from her original homeland to Palestine. Through her experience with the place, she was able to shed light on her various intellectual, social, and political positions. The research concluded by highlighting the most important results related to the effect of place in Rachel's poetry

Keywords: (Place, Hebrew poetry , Rachel Blobstein)

المقدّمة:

يمثل المكان في الأدب- ولاسيَّما الشعر- عنصراً مهماً من عناصر التجربة الأدبيّة، إذ للمكان خصوصيته عند الشعراء والكُتَّاب، فالمكان وعاءٌ للتَّعبير عن هواجسهم وتأملاتهم، فمنهم من أسقط عليه تجاربه الواقعية، ومنهم من عايشه بأبعاده الرومانسية، وبعضهم عبّر عنه بالفقد والفقدان، وهنا سنرى أنَّ المكان عند الشاعرة "רחל לובשטיין" [1] راحيل بلوبشطاين أخذ أبعاده في حياتها الشخصيّة التي شهدت أحداثاً ووقائع وتقلبات كثيرة؛ إذ انطلقت من روسيا حاملة روعة شعرها الذي ينبض بالرقة والعذوبة المفعمة بالعاطفة الصادقة الممزوجة بمعاناتها وآلامها وأفراحها وأحلامها لتواجه زمناً تكاثرت فيه الأحداث المتناقضة، فعاشت تقلباتها مترجمة ذلك في شعرها الذي جسّد صورة لحياتها بكل تفصيلاتها.

المكان لغةً واصطلاحًا:

المكان لغةً مأخوذ من الجذر (م ك ن)، وقد جاء في لسان العرب "المَكانُ والمَكانةُ واحد، ومكانٌ في أَصل تقدير الفعل مَفْعَلٌ ، لأَنه موضع لكَيْنونةِ الشيء فيه، غير أَنه لما كثر أَجْرَوْهُ في التصريف مُجْرَى فَعال، فقالوا: مَكْناً له وقد تَمَكَّنَ، وليس هذا بأَعْجَب من تَمَسْكَن من المَسْكَن، قال: والدليل على أَنّ المَكانَ مَفْعَل أَن العرب لا تقول في معنى هو منِّي مَكانَ كذا وكذا إلا مَفْعَلَ كذا وكذا، بالنصب ، ابن سيده: والمكانُ الموضع، والجمع أَمْكِنة كقَذَال وأَقْذِلَةٍ، وأَماكِنُ جمع الجمع ، قال ثعلب: يَبْطُل أَن يكون مَكانٌ فَعالاً لأَن العرب تقول: كُنْ مَكانَكَ، وقُم مكانَكَ، واقعد مَقْعَدَك؛ فقد دل هذا على أَنه مصدر من كان أَو موضع منه؛ قال: وإنما جُمِعَ أَمْكِنَةً

---

[1] الهوامش:

- ولدت عام 1890م في روسيا، واسمها راحيل بلوبشطاين سيلع، شاعرة عبرية معروفة، هاجرت من روسيا إلى فلسطين، 1909م، اتسم شعرها بكونه وصفيّاً للمناظر الطبيعيّة، توفيت عام 1931م، ينظر: منصور، جوني: معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، المصيون، ط1، 2009م.ص242.

فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشَبِّه الحرف بالحرف، كما قالوا مَنارة ومنائِر فشبهوها بفَعالةٍ وهي مَفْعَلة من النور" .[2]

أمّا في الاصطلاح:

فقد جاء في كتاب التعريفات ما يلي: "المكان: عند الحكماء، هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، وعند المتكلمين: هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده. [و] المكان المبهم: عبارة عن مكان له اسم نسميه به، بسبب أمر داخل في مسماه، كالخلف، فإن تسمية ذلك المكان بالخلف إنما هو بسبب كون الخلف في جهة، وهو غير داخل في مسماه. [و] المكان المعين: عبارة عن مكان له اسم سمي به، بسبب أمر داخل في مسماه، كالدار؛ فإن تسميته بها بسبب الحائط والسقف وغيرهما، وكلها داخلة في مسماه" .[3]

والملحوظ أنّ للمكان مفهومات متعددة بحسب الأمر الذي يدل عليه ويكون فيه، وسنرى كيف تجلّى المكان في شعر راحيل لنكشف أثره الجمالي في شعرها.

التفاعل بين المكان والشخصية في الشعر:

حدّد جيرار جينيت أربعة فضاءات تصبّ في صلب التكوين الأدبي، هي: (فضاء اللغة، وفضاء الكتابة، وفضاء التعبير، وفضاء الأدب). وما يهمنا هو الفضاء الأدبي الذي تتحرك فيه الشخصيات، ويكون المكان جزءًا مكوّنًا لهذا الفضاء، سواء أكان إطارًا طبيعيًّا كالغابات والصحراء، أم مكانًا مصنوعًا كالمتنزهات والبيوت والمدن والمناجم، أم جامدًا كالأمثلة السابقة، أم متحركًا كالقطار والطائرة ووسائل النقل. والشاعر يرسم المكان بوساطة اللغة رسمًا لغويًّا وليس ماديّا، فهو تشكيل خيالي للواقع أو لفضاء حقيقي[4]، فيقترب شعره من القالب السردي؛ لأنّ المكان من أهمّ مكوّنات السرد الأدبي. والحق أنّ المكان لا

---

[2]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، د.ت، ، ط3، ج13، مادة(ك و ن)، ص414.

[3]- الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م، ص227.

[4]- يُنظر: زيتوني، لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002م، ص127-128.

ينفصم عن الزمان، لأنّ الفعل في اللغة لا ينفك عن الزمن، فيتلبّس المكانُ الفعلَ ولو كان هذا التلبُّسُ تُلبُّسًا ضمنيًّا، من مثل قول الشاعرة: (تُرىَ هل القيام والانتفاض من غبار الأم، بالغد يأمن؟)، فالانتفاض والقيام يدلّ على مكان ضمني لم تُحدده الشاعرة، بيد أنها ربطته بالغد وهو زمن مستقبل، مما يمكن أن نسميه بأنّه حديث عن الزَّمَكان بحسب تعبير ميخائيل باختين.

ويبرز التفاعل بين المكان والشخصية عندما يُستعمل الفضاء الأدبي على أنه إطار تمثيلي وتصويري للأحداث، وإنْ بدت صلة الفضاء الأدبي بالواقع ضعيفة [5].

ويكون المكان حميميًّا أو عدوانيًّا، ضيّقًا أو واسعًا، وذلك بحسب المعنى الذي يبثّه المبدع في نصّه مرتكزًا على المكان لينقل تلك الحالة النفسية التي يمرّ بها بواسطة الشّعر، فيحدث ذلك التأثير المتبادل، بين المكان (الفضاء الأدبي) ونفسية المبدع (تجربته الشعورية)، فيُتلمَّسُ عندئذٍ أثرُ المكان في الشّعر وما خلّفه في النّصّ من تأثير في المُبدع إيجابًا أو سلبًا.

تقول راحيل:

בַּגִּנָּה	- في البستان
בְּבֹקֶר אֱלוּל הָעוֹלָם וָרֹד וְתָכֵל,	في صباح أيلول العالم ورديّ ولازورديّ،
מַרְעִיף[6] תַּנְחוּמִין.[7]	تذرف (الدمع) تعزية.
שֶׁמָּא[8])לָקוּם , לְהִתְנַעֵר[9])מֵעֲפַר הָאֶתְמוֹל,	تُرىَ هل القيام والانتفاض من غبار الأمس،

---

[5]- يُنظر: المرجع السابق، ص128.

[6] -מַרְעִיף: اسم فاعل مفرد مذكر من الفعل הִרְעִיף على وزن הִפְעִיל

הִרְעִיף:أسالَ، صبَّ، سكب، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج4، ط1، دار شوكن للنشر، أورشليم وتل أبيب، 1990م ، ص1698.

[7] -תַּנְחוּמִין: اسم جمع مذكر، الأصل فيه תַּנְחוּמִים, ولكن استبدلت الميم نوناً في نهاية الكلمة للضرورة الشعرية.

תַּנְחוּמִים: تعزية ج تعازٍ، عزاء، مواساة ، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1904/4.

[8]- שֶׁמָּא:علَّ، لعلَّ، تُرى، ياتُرى، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1802/4.

[9] -לְהִתְנַעֵר: مصدر لامي (مضاف) من الفعل (הִתְנַעֵר) على وزن (הִתְפַּעֵל)

בַּמָּחָר לְהַאֲמִין?[10]	بالغد يأمن؟
שָׂמָא בְּלֵב עָנָו לְבָרֵךְ[11] אֶת	تُرى هل بقلب وديع تخر مع عبء،
הָעֹל ,	
לְהַצְדִּיק אֶת הַדִּין?	ليبرر الحُكم؟
בֵּין שׁוּרוֹת[12] עֲרוּגוֹת	بين صفوف الرياض والأخاديد
וּתְלָמִים[13]נַעֲרָה תָּבוֹא	تهلُّ صَبيَّة
הַבָּרֶז יִגְעַשׁ[14] .	الصنبور يهتز.
הִיא מַזָּה רְסִיסֵי חַיִּים, אַף	هي تهذي من حُطام الحياة، والساق
גִּבְעוֹל בִּצְמָאוֹ	بظمئها
לֹא נִשְׂבַּח, לֹא נֵעָשׂ.	ما أُهمل، وما هُجر.
אוּלַי לִסְלֹחַ[15]לָאֵל אֶת זְדוֹן	ربما غفر الله إساءة قلبه،
לִבָּבוֹ,	
אוּלַי לְהַתְחִיל מֵחָדָשׁ?[16]	أو ربما البدء من جديد؟

تتقدم لفظة (גִּנָּה بستان) لتشكل الفضاء المكاني المفتوح الذي تضعه الشاعرة أمام المتلقي، ثم تدخل زمانية المكان التي لا تنفصل في

הִתְנַעֵר: نفّض، انتفضَ، نفض ماعلق بنفسه، هبَّ، سجيف، دافيد: قاموس عبري-عربي للغة العبرية المعاصرة، ج3/ 1177.

[10]- לְהַאֲמִין: مصدر لامي (مضاف) من الفعل (הֶאֱמִין) على وزن (הִפְעִיל)

[11]- בָּרֵךְ: ركع، نخ، سجد، خرَّ، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج212/1.

[12]- שׁוּרוֹת: اسم جمع مؤنث مضاف، مفرده (שׁוּרָה).

שׁוּרָה: (שׁוּרוֹת) صف ج صفوف ، طابور ج طوابير، سجيف، دافيد: قاموس عبري-عربي للغة العبرية المعاصرة، ج4 /1756.

[13]- תְּלָמִים: اسم جمع مذكر، مفرده (תֶּלֶם)

תֶּלֶם: (תְּלָמִים)تلم ج أتلام، أُخدود ج أخاديد، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1894/4.

[14]- יִגְעַשׁ: مستقبل مسند إلى ضمير الغائب من الفعل (גָּעַשׁ) على وزن (פָּעַל).

גָּעַשׁ:هاج، اضطرب، ثار، عصف، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1/ 269.

[15]- לִסְלֹחַ:مصدر لامي مضاف من الفعل סָלַח على وزن פָּעַל

סָלַח: سمح، صفح عن، عفا عن، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة،ج 3/ 1252.

[16] -כל שירי רחל ,בגני נטעתיך ،מהדורה שניה ומתוקנת נדפס בישראל، 1986، עמ11.

دلالتها فجمال المكان مرتبط بجمال الزمان (בִּכְּר אֱלוּל صباح أيلول) وتنثال الصور اللونية التي تجسد جمالية المكان (הָעוֹלָם וָרֹד וְתָכֹל العالم وردي لازوردي) ويبدو أن انسراب الشاعرة الوجداني قادها الى خلق جماليات المكان، ويطفو على النص التراوح بين وتيرة الماضي والحاضر الذي من خلال التجسيد الذي يتم عن طريق الصور البصرية المتكررة، (שָׁמָּא לָקוּם هل ... القيام، שָׁמָא בְּלֵב עָנָו ترى هل بقلب وديع) ويبدو أن فاعلية المكان تشد الشاعرة، فتظهر صورة مكانية أخرى (שׁוּרוֹת עֲרוּגוֹת صفوف الرياض، תְּלָמִים الأخاديد) التي تعمل على محاولة الاسترجاع لمرحلة الطفولة المفعمة بالحياة , ويبدو أن المكان كان العامل الفاعل في بث حالة الشاعرة التي تتحول لديها مكانية المكان الجميلة إلى حالة من الحزن بانقلاب الأحزان في النفس بين الماضي والحاضر المتمثل والمرتبط بالمكان .

بقي أن تُشير إلى نسيج لغوي يُعزّز المشهد منه الرتبة، إذ قدّمت الزمن (אֱלוּל أيلول) على فعل البكاء (מַרְעִיף يذرف) وفي هذا انتقال من لقطة بعيدة من الكون العام إلى اللقطة القريبة، ومثله (בֵּין שׁוּרוֹת بين صفوف) الذي قدّم على (תָּבוֹא تهلُّ).

בִּבְדִידוּתִי הַגְּדוֹלָה	في عزلتي الكبيرة
בִּבְדִידוּתִי[17] הַגְּדוֹלָה, בְּדִידוּת חַיָּה פְּצוּעָה	في عزلتي الكبيرة، عزلة عاشت جريحة
שָׁעוֹת עַל שָׁעוֹת אֶשְׁכַּב. אַחֲרִישׁ .[18]	ساعات وساعات أضطجع، وأصمت
הַגּוֹרָל בָּצַר בְּכַרְמִי אַף עוֹלֲלוֹת [19] לֹא הוֹתִיר.	والقدر يستنزف من كرامتي، ولم يُبقِ لي شيئاً

---

[17]- בִּבְדִידוּתִי: اسم مفرد مؤنث متصل بضمير عائد على المتكلم مسبوق بحرف النسب الياء.

בְּדִידוּת:عُزلة، انعزال، انفراد، وحدة، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1/ 142.

[18]- אַחֲרִישׁ: مستقبل مسند إلى ضمير المتكلّم من החרישׁ على وزن הפעיל

החרשה:وجوم، صمت، سكوت، سكون، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1/ 373.

[19]- עוֹלֲלוֹת: اسم فاعل، وهو جمع مؤنث، وجاء نكرة.

אַךְ הַלֵּב הַנִּכְנָע סָלַח	[20]	لكن القلب الخاضع يغفر
אִם הַיָּמִים הָאֵלֶּה אַחֲרוֹנֵי יָמַי הֵם אֲהִי-נָא שְׁקֵטָה, לְבַל יַדְלִיחַ מְרִיי אֶת כֶּחֱלוֹ הַשָּׁקֵט שֶׁל שַׂחַק – רֵעִי מֵאָז	[21]	فإن كانت هذه الأيام هي أيامي الأخيرة فها أنا ساكتة لكيلا يعكر ألمي زرقته الهادئة زرقة السُحب – أصدقائي منذ ذلك الحين.

في قصيدة (בְּבְדִידוּתִי הַגְּדוֹלָה - في عزلتي الكبيرة) المكان هو مكان متخيل غير حقيقي، ويبدو أن هذا المكان المتخيل قامت الشاعر بصنعه لكي تبين لواعج نفسها، ولعلّ السبب في ذلك هو غياب المكان الحقيقي القادر على احتواء آلامها، وكأنها كانت تعيش في فراغ نفسي، ويبدو أن المكان المتخيل ظهرت فيه شخوص متخيلة، فسرعان ما أصبح المكان هو النفس (חַיָּה פְּצוּעָה عاشت جريحة)، وإيقاع المكان المتخيل على النفس كان وراءه الرغبة بتجسيد الضياع بهيمنة الزمان واختلاطه بالمكان بزمانية فرضت على النص إطار الضياع والحزن في عبارات (שָׁעוֹת עַל שָׁעוֹת אֶשְׁכַּב ساعات وساعات اضطجع ، אַחֲרִישׁ اصمت، הַגּוֹרָל בָּצַר בְּבַרְמִי אַף עוֹלְלוֹת القدر يستنزف من كرامتي ، אַחֲרוֹנֵי יָמַי أيامي الأخيرة) بمعنى آخر فإن المكان المتخيل من أول وهلة فرض سلطوية ودلالة الضياع والاستسلام.

وفي المقطع الأخير نجد السلوان متجلياً في الطبيعة التي هي ملاذ الرومنتيكيين.

בְּבֵית-הַחוֹלִים	في المستشفى

עוֹלְלוֹת: لُقاط الثمر المتروك على الشجر بعد موسم القطاف، يُمكن للفقراء اجتناؤه لهم، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1305/3.

[20]- סָלַח: عفَا، صَفحَ عن، غَفَرَ، سامحَ، قوجمان.ي: قاموس عبري_عربي، مكتبة المحتسب(عمان-الأردن)، د.ت،1970م، ص598.

[21] -כל שירי רחל ,בגני נטעתיך ،מהדורה שניה ומתוקנת נדפס בישראל، 1986، עמ19.

הַשְׁבִילִים הַצְחֹרִים נָחְפָּזִים[22], רָצִים לְהָתָם מַה לָהֶם וְלִי, הַשְׁבוּיָה הֲכָא?[23]	ما للدروب (الناصعة) البياض تسارعت الدروب وتدافعت هناك! ما لهم وما لي، أأسيرة هنا؟
אֲנִי מַבִּיטָה בַּחַלּוֹן, מַבִּיטָה וּבוֹכָה כָּךְ-סְתָם.	أطل من النافذة، ناظرة باكية على ذاك الغموض
הָרוֹפֵא[24] מִתְבּוֹנֵן וּמֵעִיר: עֵינֶיהָ הַיּוֹם אֲדֻמּוֹת, הַאִם הִתְאַמְּצָה לִרְאוֹת אֶת אֲשֶׁר מֵעֵבֶר לָהָר? אֲחַיֵּךְ וְאַרְכִּין בְּרֹאשִׁי לְאוֹת	تفحصني الطبيب، معبراً: عيناها اليوم حمراوان أتسعين إلى رؤية ما وراء الجبال؟ أتبسم وأطأطئ برأسي بعلامة بحقيقة
כִּי אֱמֶת. נָכוֹן הַדָּבָר .[25]	الأمر صحيح

تتقدم (הַשְׁבִילִים הַצְחֹרִים الدروب الناصعة البياض) لتكوِّن المكان المتخيل الذي صنعته الشاعرة عن مسرَّاتها الراحلة، فجعلتها دروباً بيضاء صافية غير معكرة، وتظهر (בַּחַלּוֹן النافذة) التي تطلُّ منها من المستشفى لتشكل المكان المغلق الذي تحاول أن تتنفس منه الانطلاق

---

[22]- נָחְפָּזִים: اسم مفعول على وزن(נפעל)، وهواسم جمع مذكر، مفرده: חָפָז .
נָחְפָּז: أسرع، سَارعَ، عَجِلَ، هَرولَ، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج589/2.

[23]- הַשְׁבוּיָה:الهاء حرف استفهام، وهو اسم معتل اللام بالهاء، من الفعل שׁבה
שׁבוי(יים:)أسير، ج أسرى، سبي ج سبايا، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج4، ص1726.

[24]- הָרוֹפֵא: اسم فاعل، جاء معرفاً بأل،وهومن الفعل المفرد المذكر רוֹפֵא على وزن(פעול).
רפא: عالج، طبّب، داوى، شفى، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1699/4.

[25] -כל שירי רחל ,בגני נטעתיך ، מהדורה שניה, ומתוקנת נדפס בישראל، 1986، עמי26.

والتخلص من قيد المرض والعودة لدروبها البيضاء، ويبدو المكان عند الشاعرة محدَّداً وهو المستشفى في غرفتها المطلَّة على الجبال التي هي مكان مفتوح يمثل رمز الانطلاق والتحرّر والشفاء، وتظهر الحوارية بين الطبيب والشاعرة من خلال (עֵינֶיהָ הַיּוֹם عيناها اليوم حمراوان אֲדֻמּוֹת) التي يوحي بها الطبيب لكثرة تأملها للجبال من النافذة، ويبدو أن إيماء الشاعرة ونزول الرأس يدل على الرغبة بالخلاص والفكاك مع الشعور بانكسار وبعض خيبة الأمل، وبهذا فقد أصبح المكان قادراً على صنع الفاعلية التي حملت الشاعرة فيها جذوة الانطلاق التي تحاول بها التخلص من القيد الذي حبسها من التحرر والقيد هو المرض.

בָּעִיר [26]	في المدينة
וְכָךְ מִיּוֹם אֶל יוֹם, אֲנִי	وهكذا من يوم لآخر أنا أعتاد
אַסְכִּין לָעִיר,	على المدينة
לְסִחְי חוּצוֹת[27], לַהֲמֻלָּה	على القذارة في الشوارع،
מַמְאֶרֶת,	والضوضاء اللعينة
לְשִׁמְמַת[28] בֶּטוֹן, לִפְנֵי	والخرسانة الخربة، والكل أمامي
זָרִים בַּכֹּל,	غريب
וְלֹא אֶקְבֹּל [29], וְלֹא	فلا أتذمَّر وأهمس، قائلةً: يا
אֶלְחַשׁ[30]: "כִּנֶּרֶת!..."	بحيرة طبريا

[26] -כל שירי רחל ,בגני נטעתיך ، מהדורה שניה, ומתוקנת נדפס בישראל، 1986، עמ80.

[27]- חוּצוֹת:

חוּץ : (צוֹת) :شارع ج شوارع، سوق ج أسواق، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج534/2.

[28]- לְשִׁמְמַת:اللام حرف نسب و שִׁממת:اسم مفرد مؤنث مضاف والاسم قبل الإضافة שִׁממה

שָׁמֵם:مقفر، خَرِب، قاحل، مهجور، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1809/4.

[29]- אֶקְבֹּל:فعل في زمن المستقبل مسند إلى ضمير المتكلم من الفعل קָבַל

קבל:شكا، اشتكى، تذّمر، تظلّم، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1537/4.

[30]- אֶלְחַשׁ: مستقبل مسند إلى ضمير المتكلم من الفعل לָחַשׁ

וְרַק בִּשְׁעוֹת הַלַּיִל, בִּשְׁעוֹת הָעִצָּבוֹן,	غير أنّي في ساعات الليل والحزن، وفي الليالي
רַק בַּלֵּילוֹת, בַּאֲפֵלָה וְשֶׁקֶט,	المظلمة والسكون
אֶבְכֶּה וַאֲגָרֵד בְּחֶרֶס-זִכְרוֹנוֹת	أبكي وأفتش عن ذكريات
הַפֶּצַע הַהוֹפֵךְ צַלֶּקֶת (31)	الجرح الذي صار ندبة

في هذا النصّ صراع بين الذات والموضوع بين السكينة والضوضاء، أو بين المثاليّة الرومانتيكية والواقعية السوداء، وهذا ما يُحدثُ شعوراً بالاغتراب،

إذ تُظهر الشاعرة مكانين متقابلين المكان المعادي (المدينة المزدحمة) والمكان الأليف (כִּנֶּרֶת بحيرة طبريا) فالمدينة تمثل المكان المعادي للشاعرة بما يجسد من ضوضاء، وقذارة في الشوارع، وناس أغراب) أما بحيرة طبرية فتمثل ألفة المكان بالهدوء وألفة من فيها.

فالشاعرة تنظر إلى المدينة فلا تجد فيها الحبيبة، حيث القذارة، والضوضاء، وهي نظائر فكريّة تُثبت الواقع الأليم، هذه المفاصل اللغويّة جاءت وفق صيغ اسميّة، فهي ثابتة جاثمة على قلب الشاعرة، وثمة انحراف لغويٌّ جميل في ذكر القذارة في الشارع؛ وهي تقصد قذارة الناس بعد طهر النفوس وعذريتها، وشخّصت الضوضاء، ثم أسبغت عليها اللعنة وهي تقصد الناس الأشرار، إنها أنسنة روحانيّة لهذا الضجيج المزعج ، إنما تهمس صورة صوتيّة خافتة وتنادي الحبيبة بحيرة طبريا، حيث عشق الطبيعة وتفضيلها على الإنسان وفق مبدأ رومانتيكي؛ إنها نداء الجمادات يُعبّر عن أقصى الآلام، فالجماد في نظرها أصبح متجاوباً مع إنسانيتها بصرف النظر عن اللاهثين وراء الدمار.

ويتغير المكان الضيق إلى مكان فسيح معبر عن انفتاح النفس وتمدّد الرّغبات، ثم تُسجل أحداثاً متكررة كل ليلة (אֶבְכֶּה أبكي)، (אֲגָרֵד

לחֹשׁ:همس، وشوش، هَشَّ، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج2/ 809.

31- צַלֶּקֶת: ندبة، أثر الجرح الباقي على الجلد، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج4/ 1513.

أفتش)، فثمة حركة جسمانيّة ثم حركة نفسانيّة، وترى أنَّ النتيجة جرح يتقادم حتى يترك علامة في جسدها (צַלֶקֶת ندبة)، الأثر المعنوي الذي خلّفه الجرح المعنوي، فقد جسدت الألم المعنوي بحسّي.

فالنص صراع بين الطبيعة الجميلة والمشاعر النبيلة ممثلة ببحيرة طبريا، والطبيعة الصناعية والمشاعر المرذولة ممثلة بالمدينة والقذارة والضوضاء.

وقد نظمت الشاعرة هذه القصيدة في عام 1928م، وهي موجهة (זלמן שזר לזלמן שזר)[32]، ففيها تراه غريباً وغير مستعد للتواصل معها. [33]

גַּן נָעוּל	حديقة مغلقة (موصدة)
מִי אַתָּה? מַדּוּעַ יָד מוּשָׁטֶת	مَنْ أنت؟ لماذا يدٌ ممدودةٌ
לֹא פּוֹגֶשֶׁת[34] יַד אָחוֹת?	ألا تصافح يد الأخت؟
וְעֵינַיִם אַךְ תַּמְתִּנָה רָגַע	والعينان لا تتحمل الانتظار للحظة
וְהִנֵּה שָׁפְלוּ[35] כְּבָר נְבוֹכוֹת.	وهنا أعاني من عيون حائرة
גַּן נָעוּל. לֹא שְׁבִיל אֵלָיו, לֹא דָּרְךְ.	حديقة مغلقة، لا درب، لا سبيل

تصف القصيدة علاقة شوق وتواصل بين شخصين، وهو بالنسبة

---

[32]- رئيس دولة إسرائيل(المزعومة) الثالث، ولد عام ١٨٨٩ في بيلاروسيا، هاجر إلى (فلسطين المحتلة) عام ١٩٢٤ ، وكان عضواً في معظم الهيئات الصهيونية التمثيلية، انتخب رئيساً لدولة إسرائيل (فلسطين المحتلة)عام١٩٦٣م ، أكثر من كتابة الدراسات والمقالات حول اليهودية وتاريخ اليهود وتوفي عام ١٩٧٤م في القدس، ينظر: منصور، جوني:معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص281.

[33] -בן־ראובן שרה, דמויות מן העבר הדיאלוג בין שזר ורחל המשוררת, עמ50.

[34]-פּוֹגֶשֶׁת:اسم فاعل مفرد مؤنث، وهو نكرة.
פגש:لقي، التقى، قابل، واجه، اجتمع، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج3/ 1390.

[35]- שָׁפְלוּ:اسم مذكر متصل بضمير عائد على الغائب.
שָׁפַל:سَفُل، انخفض، تدنى، انحطّ، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج4/ 1834.

إليهما (لقاء)، من دون أن تذكر فيما إذا كان عشوائيًا أو مخططًا له مسبقًا، فتستهل البيت الأول بسؤال شامل حول هوية الشخص الآخر وجوهره ودوافعه. إذ تصف الشاعرة فشلًا في التواصل، فهي تمد يدها إلى يد أخرى.

لكن لا توجد يدّ ممدودة لها في الوقت نفسه، هذه الحالة تخلق في روح الشاعرة مشاعر خيبة الأمل والإحراج والارتباك حول كيفية التصرف أمام الشخص الآخر الذي لا يرغب في التواصل معها.

يؤدي رفض الآخر إلى استنتاج الطبيعة البشرية، التي تشبه (الحديقة المغلقة)، إذ تشير عبارة "حديقة مقفلة" على اقتباس من فقرة في سفر نشيد الأناشيد[36]، فقد حاولت راحيل استحضار ذكرياتها تجاهه.

חַדְרִי חֶחָדָשׁ	غرفتي الجديدة
הֵידָד, חַדְרִי חֶחָדָשׁ, הַצּוֹפָה[37] פְּנֵי יָם,	هلّلي يا غرفتي الجديدة المطلّة على البحر
הַנִּשָּׂא בְּעֶשְׂרִים אַמָּה מֵעַל לַמִּדְרֶכֶת!	المرتفعة عن الرصيف عشرين ذراعاً
רוּחוֹת מֵאַרְבַּע רוּחוֹת	والرياح (تضربك من جهاتك) الأربع

المكان الذي تقدمه الشاعرة هو مكان مغلق (חֶחָדָשׁ غرفتي) ويبدو أن وراء هذا المكان المغلق الإيحاء بالانعزال عن العالم الخارجي من خلال (הַנִּשָּׂא בְּעֶשְׂרִים אַמָּה מֵעַל לַמִּדְרֶכֶת المرتفعة عن الرصيف عشرين ذراعاً) ويبدو أن هذا الارتفاع المكاني كان كامناً وراءه الارتقاء والتعالي عن عامة الناس فالشاعرة تحس أنها مميزة بما تملك من مشاعر , ولعلّ التجسيد الذي يلف المكان من خلال (רוּחוֹת מֵאַרְבַּע רוּחוֹת, الريح التي تضرب الغرفة من جهاته الأربع) هو الشعور بالتحرر التام فلا يوجد طرف مغلق وما الريح هنا إلاّ رمز

---

[36]- (نشيد الأناشيد 12:4)"אחותי הכלה היא גן סגור, מעיין נעול, מעיין אטום" "أختي العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم".

[37] -הַצּוֹפָה:اسم فاعل مفرد مذكر، وهومعرفة.
צוֹפָה:ترقب، ارتقب، توقع، انتظر، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1523/4.

التحرر لأنها تعلو بالإنسان كالطيور , وممّا تقدم يصبح المكان الذي وضعته الشاعرة قادراً على تبيان عزلتها الوجودية التي ألزمت نفسها بها بالترفع والاستعلاء .

אֶל ההרים	إلى الجبال
אֹהַבְכֶם כִּי רַמְתֶּם מֵאָרֶץ	أحبُّكم لأنَّكم ارتفعتم عن الأرض
וּלְבַשְׁתֶּם תְּכֵלֶת זַכָּה	وتوشحتم بزرقة صافية،
כִּי אֶל סֵתֶר נְוֵכֶם הַדֶּרֶךְ	لأنَّ الطريق إلى سرّ بهائكم
רְחוֹקָה[38] , רְחוֹקָה	بعيدة، بعيدة.
אֶת סִבְלִי אַעֲמִיס עַל הַשֶּׁכֶם	أحمل أعبائي على كتفي
כְּמִצְוַת שִׁלְטוֹנְכֶם עָלַי	كفرض حكمكم عليَّ
לְהַעְפִּיל – מְבַשֵּׂר צָנוּעַ [39]	لأرتقي مُبشراً متواضعاً
שֶׁל הַבָּא אַחֲרַי [40].	) للظهور للآتي بعدي.

الأمكنة في هذه القصيدة مفتوحة (الجبال)، فتمجّد ارتفاع الجبال وهي تتغيّا ترفّع الإنسان ونهوضه للأعلى. وقد منحت الشاعرة الجبال أنبل المشاعر وهو الحب، وتشخص الجبال كائنات إنسانية تتخذ من السماء وشاحاً أزرق اللون، والزرقة للصفاء، بل قيّدتها الشاعرة بصفة الصفاء (תְּכֵלֶת זַכָּה زرقة صافية) رامزة إلى القلوب النقيّة التي تفتقدها الشاعرة في مجتمع متوحش، وههنا التباين اللوني الذي يقوي من الطرفين: اللون البني للجبال، واللون الأزرق للسماء، السماء التي تذكر بنداء الإله وتُذكّر الإنسان برفعته، إنَّ اليأس يحيط بقلبها؛ لأن الإنسان لا يصل إلى بهاء الجبال بحكم الغرائز البشعة عند الإنسان، وهكذا قدّمت صورة بصريّة جسّمت حنين الشاعرة إلى السمو، فثمة طريق يشكل

---

[38] -רְחוֹקָה:صفة مفردة مؤنثة.
רחק:בַּעُדَ، نأى، سَحُقَ، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج1676/4.

[39] -צָנוּעַ: متواضع، خاشع، قنوع، سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ج/4 1518.

[40]- כל שירי רחל ,בגני נטעתיך ، מהדורה שניה, ומתוקנת נדפס בישראל، 1986، עמ115

صورة حركة صاعدة من الأسفل عالم الطين إلى الأعلى عالم الملكوت والقدسيّة، وإنه لخط طويل، هذا ما أكدته الشاعرة بتكرار كلمة (רְחוֹקָה بعيدة).

والمحور الآتي من القصيدة تظهر فيه الذاتيّة، فالجبال حركة للأعلى وذات الشاعرة حركة للأسفل بسبب ضغط الهموم (סַבְּלִי אֲעַמִּיס أحمل أعبائي) بصيغة المضارع ممّا يعني انفتاحاً زمنيّاً على المستقبل إنَّ الجبال تحكم على الشاعرة؛ إذ تعلمها النهوض، وهكذا جسّدت في الجبال سلطاناً قويّاً يأمر وينهى، ثم تبدأ المحاولة المبشرة بالارتقاء، ومع عتمة الألم يتجلى الضوء في قولها (אַחֲרֵי הַבָּא للآتي بعدي) الذي يعني الانفراج والخلاص في مستقبل مشرق.

الخاتمة

1- اكتسب المكان في شعر راحيل هويته من صدق مشاعرها وعمق معاناتها؛ إذ أصبح شخصية من شخصيات النص، فظهر المكان ظهوراً فنيّاً إبداعياً نابعاً من تجربتها الشعرية التي أسهمت في تعميق الدلالة الكليّة للنص، حيث بدت ملامح العالم الواقعي جلية وواضحة.

2- تأثرت الشاعرة تأثراً كبيراً ببيئة المستوطنات الزراعية وبمظاهر الطبيعة الأخرى في فلسطين مثل: (الجبال وبحيرة طبريا)، إذ مثّل المكان المفتوح مساحة أرحب لبث مشاعرها حيث عملت على خلق فضاء مكاني واسع لاستيعاب مشاعرها.

3- استطاعت راحيل أن تترجم شعرها الذي جسّد صوراً متنوعة لضجيج حياتها بكل جزئياتها مما جعلها تستنطق النصوص الشعرية لتسقط في نهاية المطاف واقعها على المكان الذي عاشت فيه.

4- ارتبط أثر المكان الطبيعي عند راحيل بالحياة الريفية البسيطة، فمزجت بين الواقع والخيال وخاصة عندما تقوم الشاعرة على استذكار المواقف وتخيلها.

5- لعلَّ اهتمام راحيل بالحديث عن المكان في أشعارها لم يكن اعتباطيّاً بقدر إحساسها العميق بحميمية المكان، فهو ارتبط بشكل وثيق بكل مباهج الحياة وملذاتها تارةً، وبالظروف النفسية التي كابدتها نتيجة مرضها تارة أخرى، إذ تسللت إلى أعماقها مواقف وذكريات حزينة ومؤلمة فأصبح المكان عدوانيًّا.

المصادر العربيّة:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، د.ت، ، ط3، ج13.
- الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1403هـ -1983م.
- زيتوني، لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002م.
- 4-سجيف، دافيد: قاموس عبري- عربي للغة العبرية المعاصرة، ط1، دار شوكن للنشر، أورشليم وتل أبيب، 1990م .
- قوجمان.ي: قاموس عبري_عربي، مكتبة المحتسب(عمان-الأردن)، د.ت، 1970.
- منصور، جوني: معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، المصيون، ط2009،1م.

المصادرالعبرية:

- בן־ראובן שרה, דמויות מן העבר הדיאלוג בין שזר ורחל המשוררת.
- כל שירי רחל ,בגני נטעתיך، מהדורה שניה, ישראל، 1986.